لجنة نشر التراث الصوفي

اللُّمَع

لأبي نصر السَّرَّاج الطُّوسي

حققه ، وقدّم له ، وخرّج أحاديثه

الدكتور عبد الحليم محمود

طه عبد الباقي سرور

١٣٨٠ — ١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر

دار الكتب الحديثة بمصر

و

مكتبة المثنى ببغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة نشر التراث الصوفى

باسمك اللهم وبحمدك ، ولا إله إلا أنت ، ولا إلهَ غيرك ، لا نستطيع أن نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

إليك سبحانك يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح ترفعه وتباركه ، وليس أطيب من كلم يشرق بحبك ، ويتعطر بذكرك ، ويدور حولَ رضاك وهداك .

وليس أزكى من عمل ، يقصد به وجهك ، ويستهدف به عزة هذه الأمة التى ارتضيتها لدينك ، واخترتها لقرآنك ، وباركتها بنبيك ، ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ولهذا وضعنا المنهج العلمى ، لنشر الأصول الصوفية القديمة ، تلك الأصول التى أضاءت أفق الحياة الإسلامية فى أزهى عصورها ، وصنعت الأخلاق الإسلامية فى أنبل عهودها ، وصاغت لأمتنا فى وثبتها الأولى ، فلسفتها الروحية ، وآفاقها المثالية ، وخطوطها العريضة ، فى المعرفة والتربية ، ومناهجها فى السلوك والمجاهدة ، ومعارجها فى الحب والمناجاة ، وما إلى الحب والمناجاة ، من قربى إلى الله ، ووسيلة إلى هداه ورضاه .

وإننا لنستهدف من نشر هذه الأصول الصوفية ، أن تكون زاداً طيباً صالحاً مباركاً ، يتمثل فى نهضتنا عزماً أبيًّا ، وإيماناً قويًّا ، وخلقاً مثاليًّا ، وتوحيداً نقيًّا .

فإذا عاد إلى القلب الإسلامى ، نوره القرآنى ، وخلقه المحمدى ، وعزمه الإلهى ، عاد من جديد إلى الحياة ، ليقودها سعيدة مطمئنة إلى الله .

* * *

ولقد قدمنا من قبل لقرائنا ، كتاب « الرعاية لحقوق الله » للإمام الحارث المحاسبى ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » لتاج العلماء العارف الكلاباذى .

وإننا ليسعدنا اليوم أن نقدم لقرائنا فى العالمين العربى والإسلامى ، أكبر موسوعة صوفية عرفها التاريخ .

نقدم كتاب « اللمع » لأبى نصر السرّاج الطوسى ، أعظم مؤرخ صوفى ، فى تاريخنا قديمه وحديثه .

نقدمه محررا محققا ، بعد أن استكملنا النقص الكبير الذى كان فى طبعته الأوربية التى قام بها المستشرق « نيكلسون »(١) .

كما قمنا بضبط أعلامه ، وتخريج أحاديثه ، والتقديم له والتعقيب عليه .

* * *

وبعد ، فإننا نوجه الشكر خالصاً موفوراً للأساتذة الأصدقاء الذين سهموا بعلمهم فى إخراج هذا الكتاب .

---

(١) كان فى طبعة نيكلسون قسم مفقود ، ابتداء من (باب فى ذكر أبى الحسن النورى رحمه الله ، ثم أبواب : ذكر أبى حمزة الصوفى . ذكر جماعات المشايخ الذين رموهم بالكفر . ذكر أبى بكر على بن الحسن . ذكر محمد بن موسى الفرغانى . بيان ما قال الواسطى) وقد أثبتنا هذا القسم المفقود .

وبهذا ينشر كتاب اللمع كاملا لأول مرة فى التاريخ .

نشكر فضيلة الأستاذ العالم المحدّث السيد محمد الحافظ التيجانى ، فقد تولى فضيلته تخريج أحاديث « كتاب اللمع » بما عرف عنه من علم وأمانة ، فأضاف عملا صالحا نافعا مباركا بإذن الله .

ونشكر الأستاذ السيد محمد عيد الشافعى الذى بذل جهداً مشكوراً فى جمع المصادر الخاصة بتاريخ السراج الطوسى مؤلف « كتاب اللمع » .

ونشكر الصفوة المختارة من العلماء والأدباء ورجال الفكر ، الذين انهالت علينا كتبهم مشجعة ومقدرة لعملنا .

وإننا لنضرع إلى الله الكبير المتعال ، أن يتقبل عملنا ، وأن يباركه ، ويمن عليه بالتوفيق والسداد ، ويمدنا بعزم من لدنه لنواصل جهادنا فى نشر الأصول الصوفية الكبرى .

وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا ، وإليه ما تخط أقلامنا ، وصلوات الله على المصطفى ، الذى أرسل هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ؟

طه عبد الباقى سرور   دكتور عبد الحليم محمود

الجمعة { ٢٨ محرم عام ١٣٨٠ هـ
٢٢ يوليو عام ١٩٦٠ م }

كتاب اللمع

ومكانته من التصوف الاسلامى

مدرستان صوفيتان ، اعتصمتا بالكتاب والسنة ، واتخذتا من سيد المرسلين إماماً وقدوة ، وجعلتا من أشواق الحب الإلهى ، ومن إلهامات الروح القرآنى ، ومن مثاليات الخلق المحمدى ، منهجا فى المعرفة ، وطريقا فى السلوك ، ومعراجا للوصول ، فقدمتا للعالمين ، أروع وأقوى روحانية إيمانية معتصمة مهتدية ، قدمتا التصوف الإسلامى مشرقا مبينا ، فيه هدى ، وفيه نور ، يرسم الطريق المستقيم المضيء ، طريق المخبتين المتبتلين ، الذين أحالوا الكون ، محاريب المناجاة والطاعات ، وجعلوا من مشاهده صفحات ناطقات ملهمات ، الطريق المضيء الصاعد إلى رضوان الله وقربه ، وأنسه وحبه ، وهداه وعلمه وفيضه .

مدرستان هما قلب التصوف ولسانه و بيانه ، و إليهما الفتوى والفيصل فى مناهجه وقواعده ، وسلوكه ومعارجه .

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة ، النابعة من الكتاب والسنة ، لم تتفرق بهما السبل ، ولم تجنح بهما الأذواق والأشواق ، فلما يعترفا أبدا ، بالسبحات الفلسفية ، والشطحات المترنحة ، والكلمات الغامضة ، التى تسربت إلى الأفق الصوفى ، وحاولت أن تنتسب إليه ، وأن تتستر بأشواقه وأذواقه .

أما المدرسة الأولى ، فهى مدرسة الإمام أبو القاسم الجنيد ببغداد ، وهى مدرسة اتخذت من المساجد منابر لدعوتها ، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال . .

الرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية ، كأعلام تضىء كلماتهم الطريق وترسمه وتحدده .

والمدرسة الثانيـة ، هى مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسى بنيسابور ، وهى مدرسة اتخذت من الـكتب منابر لبيان دعوتها ، وشرح رسالتها ، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها .

وجعلت من صفحات هذه الـكتب معاهد لتخريج الفحول من الرجال ، وخزائن خالدة ، تحفظ للأجيال ، هذا التراث المضىء العظيم .

وصاحب اللمع ، أبو نصر السراج الطوسى ، هو بحق ، أكبر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعا بلا استثناء .

اقتفى أثره الهجويرى فى كتابه « كشف المحجوب »(١) ، وتتلمذ عليه ، أبو عبد الرحمن السلمى ، صاحب الطبقات(٢) ، وعلى السلمى ، تتلمذ عبد الـكريم ابن هوازن أبو القاسم القشيرى ، صاحب الرسالة القشيرية(٣) .

فمؤلف اللمع إذن ، قد أنجبت مدرسته الأقلام الـكبيرة التى حفظت لنا ، ورسمت أمامنا ، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب .

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً ، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله .

فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ المحجة التى يلوذ بها ، ويهتدى بنورها ، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهه سبحانه ، وصمدوا بقلوبهم وبعزماتهم إلى الأفق الأعلى ، مع الملأ الأعلى ، لا يستنكفون عن عبادة ربهم ، ولا يفترون عن ذكره وحمده .

(١) على بن عثمان الجلابى الهجويرى توفى عام ٤٦٥ هـ

(٢) توفى السلمى عام ٤١٢ هـ

(٣) توفى القشيرى عام ٤٦٥ هـ

قوتهم طاعة ، وحياتهم عبادة ، ومناجاتهم حب ، ووجودهم قرب ، وذوقهم علم ، و بساطهم أنس ، وخلقهم قرآن .

إنهم أمناء الله جل وعز فى أرضه ، وخزنة أسراره وعلمه ، وصفوته من خلقه ، كما يقول السراج الطوسى فى اللمع .

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية ، حمل اللواء فيها السراج ، والقشيرى ، والهجويرى ، والسلمى ، والكلاباذى[١] .

المدرسة التى حاربت فى عنف وفى قسوة ، كل انحراف فلسفى ، أو شطح ذوقى ، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامى .

يقول المستشرق « نيكلسون »[٢] :

« ... ولهذا نجد أوائل المؤلفين فى التصوف يرددون الإنذار والتحذير من الوقوع فى وحدة الوجود ، ويكررون القول : بأن الله تعالى مخالف للحوادث مخالفة تامة ، وأن أى اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته كفر وضلال » .

ولا جدال فى أن التصوف الإسلامى ، منذ فجره الأول ، قد ابتلى كما ابتليت المعارف الإسلامية كافة ، بالدخلاء الأدعياء سلوكا وقولا .

ولهذا نجد أئمة التصوف ، منذ القرن الثالث الهجرى ، وهم يحذرون وينذرون ، وكان أكبر المنذرين وأسبقهم الإمام السراج الطوسى .

يقول السراج فى مقدمته لكتاب اللمع[٣] :

« ... وأعلم أن فى زمننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها ، والمجيبون عنها وعن

(١) صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف

(٢) فى التصوف الإسلامى ص ١٠١

(٣) اللمع ص ١٩ طبع دار الكتب الحديثة

مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه ، وكلاماً ألفه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ، ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق ، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا فى العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل » .

وإذن فالخائضون فى علوم التصوف ومسائله ، والمتشبهون الدخلاء المحجبون ، قد كثروا فى الأفق الصوفى ، منذ القرون الأولى فى الإسلام .

والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ، ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية .

إنهم علماء قاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا فى العمل ، فجمعوا بذلك بين العلم ، والحقيقة والعمل .

ولهذا كان الصوفية عبر التاريخ ، نماذج للجلال الخلقى والروحى ، ونماذج للكمال التعبدى والإيمانى ، ونماذج عالية سامقة ، فى أفق العلم والمعرفة .

وكما يقول « ماسنيون » :

« إن رجال المعرفة الصوفية فى الإسلام ، كانوا دائما النماذج التى تقدم لنا الصورة الحية المفكرين الكبار فى الإسلام » .

ويقول شاعر الإسلام « محمد إقبال » :

« إن الإسلام عند الصوفية يأخذ طابعا من الجمال والكمال ، والإنسانية العالية والأخوة العالمية ، لا تجده فى إسلام الفقهاء أو المتكلمين » .

***

وكتاب « اللمع » هو الكتاب الأم ، فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وقد اجتمعت له خصائص ما نحسبها توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية .

فهو أقدم مرجع صوفى إسلامى ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع وأوثقها وأغزرها مادة ، وأنقاها جوهراً ولفظا .

ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأقلام التى قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله .

وهو كتاب تاريخ ، ومدرسة علم ، وطريق ذوق ، وإشعاع يرشد السالكين ، ويعلم العلماء ، أو كما يقول « نيكلسون » : « هو مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين » .

وكتاب « اللمع » قد استهدف فى كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها .

وهى رسم المبادىء الصوفية النقية ، تلك المبادىء التى تعبر عن روح القرآن ، وجوهر السنة .

المبادىء الخلقية والإيمانية التى تتلمذت لفضل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهديه .

المبادىء التى تحيط بكل شىء فى الحياة ، فتطلق فيه النور ، وتطلق فيه الروح ، وتطلق فيه الحب ، وتعمق فيه الأحساس المقدس ، الإحساس بالقرب من الله ، قرب ذوق ووجدان ، ومشاهدة ذوق ووجدان .. فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

المبادىء التى تتحقق فيها كلمات الله التى صورت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس .

فإذا صور السراج فى « اللمع » تلك المبادىء فأحسن تصويرها ، وأبدع رسمها ، وأشاع الروح والحيـاة فى أفقها ، مدعما لهـا بالأدلة القرآنية والنبوية والعلمية والذوقية ، عمد إلى أدق وأنبل ما فى كتابه .

عمد إلى بيان كامل ، وحصر شامل ، للأخطاء التى وقع فيها السالـكون للطريق ، إما عن سوء نية ، أو عن حسن قصد .

وهنا يتفوق السراج على نفسه ، فهو عالم نفسانى ، وهو حـكيم ربانى ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بهـا إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ، ورقائق الذوق ، فيكشف عن أخطاء العابدين ، كما يكشف عن عقد الذاكرين ، وتلبيسات المحبـين ، ووسوسة الزاهدين ، وهى أخطر عقبات الطريق ومزالقه .

فيجلو لنا بذلك كله وجه التصوف الإسلامى ، كما جاء به القرآن ، وكما صوره الرسول وهديه ، وكما عاشه رجاله وأعلامه ، وهم الصفوة من خلق الله ، والخيرة من عباده ، وخزائن العلم والمعرفة ، علم الشريعة ، وذوق الحقيقة ، وفيض العطاء الربانى ، الذى تتلمذ عليه من اصطفى الله من عباده .

* * *

ذلك هو « كتاب اللمع » أو بمعنى أدق ، ذلك بعض ما نومىء به ونشير ، ليدل على « اللمع » فـكل تقديم « للمع » لا ينهض بحقه ، ولا يفى بقدره ، ولا يصور علمه وذوقه .

إنه جامعة لتخريج الفحول والأئمة الـكبار ، جامعة لا يعرف قدرها ، إلا من تذوق منهجها وعاش فى صفحاتها ... وتلك رسالتك أيها القارىء الـكريم .

التعريف بصاحب اللمع

أبو نصر عبد الله بن على السرّاج الطوسى ، الملقب : بطاووس الفقراء . توفى سنة ٣٧٨ هـ .

يقول عنه صاحب النفحات :

« . . . هو عبد الله بن على بن محمد بن يحيى الصوفى الزاهد ، صاحب « كتاب اللمع » فى التصوف ، وقد تكون له مؤلفات أخرى لم تصل إلينا .

سمع جعفر الخلدى ، وأبا بكر محمد بن داود الدقى ، وأحمد بن محمد السايح » .

ويقول صاحب تذكرة الحفاظ :

« . . . أبو نصر السراج عبد الله بن على الطوسى الزاهد شيخ الصوفية ، وصاحب « كتاب اللمع » فى التصوف ، روى عنه جعفر الخلدى ، وأبى بكر محمد بن داود الدقى . . . قال « الذهبى » كان المنظور إليه فى ناحيته ، فى الفتوة ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلوم الشريعة » .

ويقول العلامة السخاوى :

« . . . كان على طريقة أهل السنة . قال : خرجت مع أبى عبد الله الروزبارى ، انلق - انبليا - الراهب بصور ، فنفذ بنا إلى ديره ، وقلنا له : ما الذى حبسك ها هنا ؟ قال : أسرتنى حلاوة قول الناس : يا راهب ، وتوفى فى رجب عام ٣٧٨ هـ[1] » .

---

(١) شذرات الذهب جـ ٣

ويقول العلامة المستشرق « نيكلسون » :

« . . . ليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة السراج ، فإن مؤلفى التصوف القديم مروا عليه فى سكوت ، وأول ما ورد ذكره حسب علمى ، فى ملحق لتذكرة الأولياء ، كما عرض لذكره عرضا قصيرا ، أبو المحاسن الذهبى فى تاريخ الإسلام ، وأبو الفلاح فى شذرات الذهب ، ولغيره من المؤلفين فى سفينة الأولياء » .

ثم يقول : « ومن العجيب أن يغفل مؤلفو التصوف القديم شأنه ، فلم يؤلفوا عنه أسفاراً تحوى لنا تاريخه وتراجمه وأحواله ، مع أنه كان فريد عصره ، راسخ القدم فى علوم القوم ، وشيخا لمذهبهم فى الزهادة والتصوف .

وكم كنت أتمنى لو سبق وجودى إلى عصره الذهبى أو الذى يليه لأترسم خطاه ، وأتتبع آثاره وأخباره وأحواله ، فأميط اللثام عن مستور لو كشف لعبق عبيره ، وطيب شذا عرفه الأنام .

على أنى لو أتيح لى أن أكون أحد معاصريه المؤلفين ما أظننى واقفا عند هذا الحد من النعت والتعريف ، ولعمرى ما كنت إلا جاهدا نفسى لكشف النقاب عن حياة وأعمال هذا الإمام الجليل ، عسانى أكون قد افتتحت مدرسة عليا لتخريج الفحول من الزهاد المتصوفة من أهل الرقعة الفقراء المخلصين » .

وتروى لنا كتب السير الفارسية ، أن السرّاج كان يلقب بطاووس الفقراء ، كما تروى كما يقول الهجويرى فى « كشف المحجوب » : « أن أبا نصر السراج وفد فى رمضان إلى بغداد ، فأفرد له غرفة خاصة فى جامع « الشونيزية » وأعطى رئاسة الدراويش ، وأنه كان فى صلاة التراويح يختم القرآن خمس مرات ، وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه فى غرفته ، وفى يوم العيد ، وكان السراج قد رحل ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس .

وتروى لنا قصة أخرى ، أنه خلال محادثاته فى التصوف أخذه الحال فقذف بنفسه فى نار موقدة ، وهو يدعو الله ، فلم تلفح له وجها ، ولم تحرق له ثوبا .

وكتاب اللمع كما يقول « نيكلسون » يعطى صورة ناطقة عن السراج الرحالة ، الذى تجول فى أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وتنقل بين القاهرة و بغداد ودمشق والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور ، سالكا طريق القوم ، ناشراً لعلومهم ومعارفهم مجدا فى الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامى فى عصره الذهبى ، ضاربا المثل الأعلى لمنهجهم بنفسه سلوكا وذوقا وفتوة .

ويقول أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقاته :

« . . . كان أبو نصر من أولاد الزهاد ، وكان المنظور إليه فى ناحية الفتوة ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلم الشريعة ، وهو فقيه مشايخهم اليوم ، ومات أبوه ساجداً » .

توفى رضوان الله عليه فى رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هجرية « أكتوبر سنة ٩٨٨ م » .

كِتَابُ اللُّمَعِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

كتب إلينا أبو القاسم علىّ بن الإمام أبى الفرَج عبد الرحمن بن علىّ بن محمد ابن الجوْزى ، وأبو .... إسماعيل بن على بن باتكين الجوْهرى ، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن المتوكِّل على الله ، وأبو المنجّى عبد الله بن عمر بن علىّ ابن زيد بن الليثى ، وغيرهم من بغداد . وكتبت إلينا أمُّ الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب بن علىّ بن الخضر القُرَشِيَّة من دمشق . كلُّهم عن أبى الوَقْت عبد الأوّل بن عيسى بن شُعَيب بن إسحاق السّجزىّ الصوفىّ المروىّ الماليني ، قال : أنبأنا أبو نصر أحمد بن أبى نصر الكوفانى قراءةً عليه فى شهور سنة خمس وستّين وأربعمائة ، قال : أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد الخنبُوشانى قراءة عليه ، قال : أنبأنا أبو نصر عبد الله بن علىّ الطوسى السرّاج ، قال :

الحمد لله الذى خلق الخلق بقدرته ، ودلّهم على معرفته بآثار صنعته وشواهد ربوبيته ، واختار منهم صفوةً من عباده وخِيرَةً من خلقه ، خصّ منهم من شاء بما شاء كيف شاء ، وقسم لهم من العلم به والفهم عنه بما قسم ، وحكم لهم فى ذلك بما حكم ، وجعلهم، فيما منح لهم من الهداية والتوفيق، متفاوتين كتفاوتهم فى الأخلاق والأرزاق والآجال والأعمال ، فلا علمٌ معلوم ولا شىء مفهوم إلا وذلك موجود فى كتاب الله عزّ وجلّ ، أو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو فيما فُتح على قلوب أولياء الله ، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيى عن بيِّنة ، وإن الله لسميع عليم .

والصلاة على المقدَّم المعظَّم المكرَّم من أنبيائه شمس الأولياء وقمر الأصفياء : محمد عبده ورسوله وعلى آله وسلم كثيراً .

أمّا بعد : فإنى قد استخرتُ الله تعالى وجمعت أبواباً فى معنى ما ذهب إليه أهل التصوّف ، وتكلّم مشايخهم المتقدّمون فى معانى علومهم وعُمْدة أُصُولهم وأساس مذهبهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم ، وما انفردوا بها من الإشارات اللطيفة والعبارات الفصيحة ، والألفاظ المشكلة الصحيحة على أصولهم ، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم .

وذكرتُ من كل فصل طَرَفاً ، ومن كل أصل طَرَفاً ونُتفاً ، ومن كلّ باب لُمَعاً ، على حسب ما سنح به الحالُ ، ومكّن منه الوقتُ ، وجاد به الحقُّ جلّ ذكره ؛ مقتدياً بالأُسْوَة والقُدْوَة والبيان والحُجّة .

فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبّه وحضور قلب وفراغ نفس ، بحسن التوقّف والتفكّر والتأمّل والتدبّر ، بخلوص النيّة وطهارة القلب وصحة القصد ، متقرّباً إلى الله تعالى ذكره ، وشاكراً له على ما منحه من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى موالاة هذه العصابة[1] ، ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقيعة فيهم والإنكار عليهم وعلى سلفهم الماضين ، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين ؛ لأنهم العصابة القليل عَدَدُها ، العظيم عند الله قَدْرُها وخَطَرُها .

وينبغى للعاقل فى عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه العصابة وقصودهم[2] ، وطريقة أهل الصحة والفضل منهم ، حتى يميّز بينهم وبين المتشبّهين بهم[3] ، والمتلبسين بلبسهم ، والمتسمّين باسمهم . حتى لا يغلط ولا يأثم ؛ لأن هذه

---

(١) يقصد أهل التصوف .

(٢) جمع قصد بمعنى الاتجاهات والنوايا

(٣) أن ادعاء التصوف قديم وها هو ذا المؤلف المتوفى فى القرن الرابع الهجرى يحذر من المهرجين باسم التصوف ، أما فى عصرنا الحاضر فقد أصبح ادعاء التصوف أمراً عادياً ولعلنا بنشر هذا الكتاب نساهم فى إعطاء الفكرة الصحيحة عنه حتى لايراه الناس طبلا وزمراً وبيارق وأساطير وجزى الله المؤلف خير الجزاء .

الصافية أعنى الصوفية ، هم أمناء الله ، جل وعز، فى أرضه، وخزنة أسراره وعلمه، وصفوته من خلقه ؛ فهم عباده المخلصون ، وأولياؤه المتقون ، وأحباؤه الصادقون الصالحون ؛ منهم الأخيار والسابقون ، والأبرار والمقربون ، والبدلاء والصديقون ؛ هم الذين أحيا الله بمعرفته قلوبهم ، (وزين) بخدمته جوارحهم ، وألهج بذكره ألسنتهم ، وطهر بمراقبته أسرارهم ؛ سبق لهم منه الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية، فتوجهم بتاج الولاية ، وألبسهم حلل الهداية ، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفاً ، وجمعهم بين يديه تلطفاً ، فاستغنوا به عما سواه ، وآثروه على ما دونه ، وانقطعوا إليه، وتوكلوا عليه ، وعكفوا ببابه ، ورضوا بقضائه ، وصبروا على بلائه ، وفارقوا فيه الأوطان ، وهجروا له الإخوان ، وتركوا من أجله الأنساب ، وقطعوا فيه العلائق، وهربوا من الخلائق، مستأنسين به مستوحشين مما سواه: (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[٢] الآية :(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)[٣] الآية : (قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)[٤] الآية .

واعلم أنَّ فى زماننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه ، وكلاماً ألفه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ، لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق ، والمبادرة والاشتياق إلى قطع

---

(١) الجمعة : ٤

(٢) تكملة الآية : ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . فاطر : ٣٢ .

(٣) تكملة الآية : آلله خير أما يشركون (النمل : ٥٩) .

كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

قال أبو نصر رحمه الله : وقد حذفتُ الأسانيد عن كثيرٍ مما ذكرت فى هذا الكتاب ، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار ، فما أصبْتُ من ذلك فبعناية الله عز وجل ، والحمدُ لله على ذلك ، وما أخطأتُ فى ذلك ووقع فيه شىء من الزيادة والنقصان فهو لازم لى ، وأنا أستغفر الله من ذلك ، وإنما ذكرتُ فى كتابى هذا أجوبة هؤلاء المتقدمين وألفاظهم لأن لى فيها غُنْية عن تكلفى كتكلف المتأخِّرين فى زماننا هذا إذا تكلموا فى هذه المعانى بكلام أو أجابوا عنها بجواب أو أضافوا ذلك إلى أنفسهم وهم متعرون عن حقائقهم وأحوالهم .

وكل من أخذ من كلام المتقدّمين الذين وصفناهم معنًى من معانيهم التى هى أحوالهم ووجدهم ومستنبطاتهم ، وحلاَّها من عنده بحلية غير ذلك ، أو كساها عبارة أخرَى ، أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك ، أو يطلب بذلك جاهًا عند العامّة ، أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجرٍّ منفعةٍ أو لدفع مضرّةٍ ؛ فإنه عزّ وجلّ خصْمُهُ فى ذلك وهو حسيبه ، لأنَّه قد ترك الأمانة وعمل بالخيانة ، وهذه أعظم [وأكبر من] الخيانة التى فى أسباب الدنيا : (وأنّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ)(١) ، وبالله التوفيق .

(١) من الآية ٥٢ من سورة يوسف .